على الرغبة فى التنبيه .. الإحياء .. الإيقاظ .. التحريك . وينفرد العقاد عنهم أجمعين بأنه لا تحكمه عقدة الإحساس بالنقص والدونية نحو الغرب ، لأنه فهم حضارتنا وعرف فضلها على الغرب ، وأدرك أزمتها وسار فى طريق علاجه ، فهو لم ينجذب إلى ضوء خلاب منبعث من أوروبا ، أو لنقل أن ضوء الحضارة الأوروبية لم يقو على تحريك انفعالاته وهزها والانجذاب نحوه لسبب بسيط .. أنه أدرك أن المحرك الحقيقى لحضارة الغرب يستقى جذوره من الشرق ، فكانت نظرته واعية ، نافذة إلى قلب الحضارة ، تاركة قشورها الخارجية المبهرة .

وقد تكون « الآلة » أعظم إضافات الحضارة الغربية إلى الحضارة الإنسانية . فماذا يقول العقاد عنها ؟ وكيف يراها ؟ . والحقيقة أن نظرة العقاد أعمق من نظرة كثير من الداعين إلى الأخذ بأدوات الحضارة الغربية بصفتها عنصر مكمل « وزينة » لا يضار الإنسان إن استخدمها ولا ينقص إن تركها (*) . وهذا تعليل لظاهر الأمر كحقيقة قائمة أمامنا ، ونحن نتساءل إن كان فى الأخذ بها حرج ؟ أما العقاد فينفذ إلى عمق أبعد ويرى أن استخدام الآلة « كان من أوله أكبر فارق بين الإنسان والحيوان الأعجم ، وأن الإنسان - لو بقى كالحيوان - عاجزاً عن

(*) هو رأى سيد قطب فى كتابه « معالم فى الطريق » .